



فقيد الجمع

الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري

رسمه الأخير

٥٢٨

شبكة  
الألوكة  
www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة  
www.alukah.net



# الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري (\*)

العضو المراسل في مجمع دمشق

بقلم

١٩٢٥ - ١٩٨٨ م

د . عدنان الخطيب

لقد نعمت بصحبة فقيه العربية أحمد عبد الستار الجوّاري ، في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لعدة سنوات خلت . كان الفقيه أثناءها خير إنسان يصادق ، وخير رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا ما أويّنا إلى الفندق نستجم فيه . تتحدث معه فيفيدك حديثه ، وتتحدث إليه فتراه مصفياً إليك بكل جوارحه ، وإذا حدثك فألفاظه منتقاة تخلو من الحشو والابتدال ، وإذا حدثته أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث ، يجامل محدثه ، على أنه ينفر من الغلو في المجاملة ، وإذا جرّ الحديث إلى النقد ، رأيته ينتقد برفق ولين مبتعداً عن الغيبة والتجريح .

وأنا لست أدري ما الذي ذكرني بموقف أحمد شوقي من حافظ إبراهيم عندما نعيّ إليّ الصديق أحمد عبد الستار الجوّاري !؟  
كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغر سناً من أمير الشعراء أحمد شوقي . غير أن رحمة الله استأثرت بحافظ قبل شوقي ، فرثي أمير الشعراء

---

(\*) نعيّ إلينا المجمع العلمي في القطر العراقي الشقيق العضو العامل فيه الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري العضو المراسل في كل من مجمي دمشق وعمان ولما كان الفقيه عضواً عاملاً في مجمع القاهرة ، أقام له مجمعها حفل تأبين بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٨٨ وكلف الزميل الدكتور عدنان الخطيب تأيينه فألقى الخطاب المنشور أعلاه .

زميله حافظاً بقصيدة استهلها بقوله :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي      يا منصف الموتى من الأحياء  
لكن سبقت ، وكلُّ طولِ سلامة      قدرّ وكل منية بقضاء  
الحقُّ نادى فاستجبت ولم تنزل      بالحقِّ تحفيلٌ عند كلِّ نداءٍ

☆ ☆ ☆

وقبل عامين ، وفي إحدى جلسات مؤتمر الدورة الثانية والحسين لمجمع اللغة العربية ، وقف الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري على منصة المجمع ، مع ثلثة من العلماء ممثلين لعدد من الأقطار العربية ، وكنتُ بينهم الأخير ، وقفنا يكرمنا المجمع بإعلان ضمنا إلى صفوف رجاله المناضلين عن الفصحى الذائدين عن لغة الذكر الحكيم .

ووقف الأستاذ الجليل عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع يقول باسمه : « ليس كنزاً واحداً هذا الذي تقدمه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وإلى دنيا التقدير والتكريم ، إنه عقْد من الكنوز لا يقدره الثن ، ولا يقاربه التعداد والإحصاء لما حواه من درّ ، واشتتل عليه من ركاز ... »

☆ ☆ ☆

وقبل أن تندمل جراحنا بوفاة كبير المكرّمين الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق ، فجأنا من ينعى الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري . لقد كان فقيداً الجديداً ، فقيداً جمعنا الخالد بجهود أعضائه العاملين ، ثاني المكرّمين في الدورة قبل الماضية ، تلبية لدعوة الحقِّ إلى لقاءه ، رحمها الله وحفظ الآخرين ذخراً للعربية ، إنه خير مسؤول .

☆ ☆ ☆

إن وفاة عالم من العلماء خسارة كبيرة للعلم وأهله ، فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين من العلم فالخسارة أجلُّ من أن تقدّر ، لذا كانت خسارة العربية بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري جسيمة جسيمة .  
لقد كان فقيدنا أحمد واحداً من عصبة من العلماء الأجلّاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العراض في خدمة العربية والذود عن الفصحى ، تحذوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغة شرفها الله بالذكر المبين الحفظا عليها واجب ديني ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .

لقد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجوّاري يوم الجمعة في الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف للثاني والعشرين من كانون الثاني ( يناير ) من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان في أوج عطائه الفكري وكامل نشاطه الذهني .

وكان فقيدنا قد ولد في مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذي يصادف يوم الثاني والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته في الثانية والستين وستة أشهر من العمر ، تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيد بمحلة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة بيوتاتها ، الأصلية في انتائها العربي ، ولد في بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلي بالأخلاق العربية المحمودة من حمية ووفاء ودمائة خلق ، واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البرّ والمعروف .

أمّ الفقيد دراسته الابتدائية والثانوية في الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدي قدامى شيوخها : طه



الراوي ومهدي البصير وعبد الوهاب عزام وزكي مبارك ، كما تابع العلم على شيوخه يومئذ في بغداد أمثال : قاسم القيسي وحدي الأعظمي . وحاز الفقيه في تخرجه بدار المعلمين العالية على مرتبة الشرف ، فأوفدته وزارة المعارف بعثة علمية إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصيله العالي ، حتى حاز درجة ( الإجازة ) مع الامتياز سنة ١٩٤٥ ثم على درجة ( الماجستير ) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧ حاملاً تقدير كبار أساتذته في مصر : طه حسين وأحمد أمين ، وأحمد الشايب ومصطفى السقا وأمين الخولي وأندادهم .



وعاد فقيدنا إلى بغداد فعين مدرساً للنحو في دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب إلى كلية الآداب في القاهرة مجدداً للحصول على شهادة ( الدكتوراه ) ، فلما نال هذه الدرجة بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى التدريس في بغداد ، حتى إذا ما نجحت ثورة تموز ( يوليو ) سنة ١٩٥٨ عين مديراً عاماً لوزارة التربية فارس وظيفته الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميداً لكلية الشريعة وأستاذاً في كلية التربية حتى عام ١٩٦٢ يوم انتخب تقيماً للمعلمين في الجمهورية العراقية .

وأسهم الفقيه بالحركة السياسية التي قامت بثورة الرابع عشر من رمضان في شباط - فبراير - سنة ١٩٦٣ فصار وزيراً للتربية والتعليم حتى شباط - فبراير - سنة ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٨ انتخب للمرة الثانية تقيماً للمعلمين ، وفي تموز ( يوليو ) من السنة نفسها عين من جديد وزيراً للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عين وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية . ثم

نقل وزيراً للتربية حيث بقي حتى سنة ١٩٧٥ ، ثم عيّن وزير دولة فوزيراً للأوقاف حتى سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيه بحكم المناصب التي كان يتولاها في كثير من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأسهم في أعمالها وتحرير توصياتها حتى غدت له مكانة مرموقة في المحافل والهيئات العربية ، معروفاً بخلق القويم وتمسكه بالمبادئ التي يحث عليها الإسلام ، وبجرصه الشديد على الالتزام بأهداف الأمة العربية ومصالحها .

☆ ☆ ☆

وانتخب المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ الفقيه أحمد عبد الستار الجواري عضواً عاملاً فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة عضواً مراسلاً ، وفي سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع القاهرة عضواً عاملاً فيه بعد أن ظل سنوات عديدة يشارك في مؤتمراته السنوية ، وقد استقبله الأستاذ الجليل عبد السلام هارون في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثلو معلمي الأقطار العربية قد اختاروا الفقيه سنة ١٩٦٩ رئيساً لاتحاد المعلمين العرب وظلوا يجددون انتخابه حتى نهاية عام ١٩٨٢ . إن للفقيه عدداً من المؤلفات والأبحاث مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع نفر من زملائه في تحقيق بعض كتب التراث وفي وضع عدد كبير من المصطلحات في مختلف العلوم .

☆ ☆ ☆

إن نظرة واحدة في ماتركه الفقيه من مؤلفات ، وكلها قيم مفيدة ، تعطينا فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه وشدة إيمانه وعظم

جرأته في مخالفة علماء النحو العالمة ، وبين يدي الآن كتابه « نحو القرآن » وهو خير شاهد على ما أقول .

ذكر الفقيه وهو يقدم كتابه إنه ثمرة من ثمرات التأمل والإمعان في العبارة القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان بدأ بممارسة ما كتبه ابن هشام في شرحه على الألفية وفي كتابه مغني اللبيب ، من دقة العبارة واستبعاد الفضول في الأسلوب وفي القاعدة النحوية ، حتى تكشف له حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد النحو مستندين إلى ما لا يرقى إلى المؤلف الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا إلى القياس والاستنتاج الذي لا يقوم على أساس موضوعي .

وانتهى الفقيه بعد كل هذا ، إلى القول : « كان خليقاً بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع من زملاء رأوا في أفكاره أموراً جديرة بالبحث والدراسة ، مما حمله على إصدار كتابه الملح إليه ، عالج فيه أحد عشر مسألة من مسائل النحو العويصة في أحد عشر فصلاً ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر لأنها عماد التركيب وأحد أصوله وصورة الإسناد فيها بينة ولا خلاف على وجوب ذكر طرفيها بالفعل أو بالقوة ، فإن حذف أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتى يقوم ركنا الجملة في الكلام .

وضرب الفقيه أمثلة كثيرة مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ، ذاكراً إعراب النحاة للجمل الاسمية فيها مع تقديرهم لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفاً تمسكاً بجزأي الجملة في القواعد التي وضعوها للجملة

الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير ما لم يذكر منها ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضحل أثره في النفس » فالزحشري لما أراد إعراب قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ قُلْ إِنَّ الدِّينَ يَفْتَرُونِ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ☆ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ... ﴾<sup>(١)</sup> قال ، « أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا » .

وينهي الفقيه تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التي يُؤتى بها في حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لا تحتاج إلى ما يوضحها أو يصفها أو يُسند إليها .

الثاني : الاكتفاء بمجمل ما يدلّ عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفي فصل عقده الفقيه لبحث مسألة ( حذف القول ) مما يكثر وروده في القرآن الكريم ، وهو أشبه ما يكون ببلوحة أسقط منها ما لا حاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضاً ضرب من ضروب الانقطاع الذي يحمل السامع أو القارئ على توقع أمر ذي بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام مثل الذي يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ☆ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ☆ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾

قال الزحشري في كشافه ( ج ٣ ص ١١٥ ) : « إن هؤلاء محكي بعد قول مضر » يقول الفقيه أحمد عبد الستار الجواري تعقيباً :

(١) سورة يونس آية ٦٩ - ٧٠



« إن في هذا الأسلوب الجميل أكثر من مظهر واحد من مظاهر الفنية التعبيرية ، فهو مركب من الحذف النحوي والايجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده في العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التأمل فقد عدت أكثر من عشرين موضعاً لم يرد فيها فعل القول بلفظه أو بمعناه ، على الوجه الذي وضع النحاة حدوده حين بحثوا مسألة ( إن ) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم في الحكاية ومقول القول ...

أليس في ما يسبق القول المحكي من الكلام ما يوحي به ؟ هذا أمر تنبه له غير واحد من الباحثين في مسائل النحو ونقد مناهجه ، ولعل أولهم في عصرنا هذا المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه الجليل ( إحياء النحو ) «



إن موت أحمد عبد الستار الجواري فجأنا وآلنا وأنا على افتقاده لمحزونون ، ونرجو أن يتغمده الله برحمته ورضوانه ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ سائليه عز وجل أن يعوض العربية ومجمع اللغة خيراً ، إنه خير مسؤل .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .